بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

منذ قديم الزمن كانت للحروب والصراعات دوافع وأهداف متعددة ، ولكن كان نصيب حروب الهوية هو الأعلى حتى وإن استخدمت كغطاء لعمليات الاستيلاء على الثروات أساسا ... لقد كانت الهوية ولا تزال من أكثر المفاهيم التى تستخدم للتعبئة فى أجواء العواصف والصراعات والنزاعات والحروب . وهذه ظاهرة انسانية قديمة ، والتاريخ الأوروبى مليئ بذلك منذ حرب المائة عام بين بريطانيا وفرنسا وماحدث من حروب وحملات صليبية وقبل ذلك وبعده ، فلقد انطلقت الحربين العالميتين الأولى والثانية من وسط أوروبا تحت شعارات الهوية ونقاء العرق الألمانى ، وصنف هتلر البشرية إلى فئات من الرقى إلى الوضاعة حتى وصف أجناس بعينها بأنها كالقردة ووما أكثر الصراعات العرقية ذات البعد التاريخى فى داخل أوروبا وفى البلقان وانجلترا وايرلندا وغير ذلك فى كل بقاع العالم لاشك أن التاريخ العربى هو الآخر قد تخللته هيمنة للعصبيات والقبائلية والعشائرية والجاهلية المقيتة منذ حرب الأوس والخزرج إلى حروب ممتدة بين قبيلتى داحس والغبراء إلى ما غير ذلك من أمثلة مؤسفة هى الأخرى .. وعندما جاء الإسلام بنوره على العالم أمد البشرية والفكر الإنسانى بقيم التقوى والسلوك الراقى والرشيد والحضارى كأساس لعلاقة بين البشر وبعضهم ببعض حيث يقول الحق ... ﴿ إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...﴾ ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام «لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» ... وآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة كبيرة ومتنوعة الأمثلة فى هذا الصدد ، فحب الوطن والانتماء إليه والزود عنه ضد العدوان لابد أن يكون فى إطار من التقوى ومراعاة حقوق الأخرين والعدل معهم هو من حب الله ولكن أن يختل ميزان العدل ويسود الغلو والتطرف والدموية فهذا ليس من الدين وليس من السياسة/ السوية واليوم وبعد مضى ١٤ قرناً على دعوة الرسول الكريم محمد ﷺ نعود لنرى صراعات لم تتوقف ويبدو أننا بصدد جاهلية أخرى لدى البعض من بنى جلدتنا تظهر ملامحها مع جاهلية ما سمى بالنظام العالمى الجديد حيث العنصرية والمعايير المزدوجة وانتهاك الأعراف الدينية السوية التى تدعو إلى التعايش فى إطار من السلام العادل بين بنى البشر ، فما الصهيونية بتاريخها إلا دعوة ممتدة لحروب الهوية المقيتة وإدعاء نقاء وتفوق «شعب الله المختار» على سائر شعوب وثقافات وهويات البشر ولا تزال دوائر أوروبية بعينها تدعى بعنصرية تفوقها الأجوف وغير الحقيقى على سائر الهويات الأخرى إلى الدرجة التى تبرر معها استخدام وتبرير العنف والقوة مع الآخرين . فهناك فى الغرب من يؤمن بايديولوچية الشعور بالتفوق واحتقار الآخرين وهى الأيديولوچية التى يؤمن بها البعض من النخبة المسيطرة على مقاليد الحكم والتوجيه

فى المجتمعات الغربية ، وفى المجتمع الأمريكى فإن مثل هذه النخبة ترى فى التوسع وبسط النفوذ خدمة انسانية وليس فقط مجرد تحقيق للمصالح الغربية .

وهنا يقول وليام فولبرايت السناتور الأمريكى السابق ورئيس لجنة العلاقات بمجلس الشيوخ فى انتقاد قوى له لهذه النزعة العنصرية للبعض فى الغرب أن سياسة القوة تمارس مستترة بشتى الأسماء وقد كان البريطانيون يسمونها «عبء الرجل الأبيض» والفرنسيون يعتبرونها «رسالتهم الحضارية» وأمريكيو القرن التاسع يصفونها بأنها «مصيرهم المحتوم» . وقد كتب هيرمان ملفيل الأمريكى يقول :

> «نحن الأمريكيين شعب خاص ، شعب مختار أننا نحمل دفة الخلاص للعالم ، وبذلك فإنه يمكن القول أن فلسفة التغريب الثقافى تقوم على أساسيين متكاملين أولهما الاعتقاد بإنسانية وعاطفية وتفوق الثقافة الغربية وثانيهما أن الثقافات الأخرى هى ثقافات متخلفة وغير انسانية ولابد للثقافة المتفوقة أن تسود عليها » .

إن شيوع مفاهيم نظريات التغريب الثقافى من خلال إعلام القرية الكونية من ناحية وشيوع هيمنة الأمبريالية الإعلامية السلبية فى محيطنا العربى الإسلامى مع تفصيل نظريات الصدام الحضارى المفتعلة والتحكمية والتى تختبئ وراء مصطلحات العلم والاستشراق أو اشتعالها بسبب تفشى الجهل والتخلف ، كل ذلك يعد بمثابة الوقود لحروب هويات انتشر وينتشر فى عالم اليوم للأسباب المذكورة ولعوامل أخرى ليس سياق هذه الدراسة الخوض فيها بالتفصيل . ولكن ما نطرحه هنا عن مستقبل التفاوض والحوار مع الغرب يتم فى ظل هذه الأجواء العاصفة التى تتخذ فى حالات عديدة اشكالاً من حروب الهوية .... والمعادلة الصعبة المطلوب ضبطها ... كيف نتفاوض مع الآخرين فى عالمنا فى ظل أجواء وأشكال من الصراعات تكاد تصل إلى حد حروب هوية معلنة أحياناً ؟ وكيف نتمسك فى ظل هذه الأجواء العاصفة بأبعاد حضارتنا المصرية العربية الإسلامية ونأخذ بأسباب العلم وتقنياته والنظم المعرفية الحديثة ... لنقدم نموذجاً للاسلام المعاصر ونموذجاً للحضارة الإنسانية معاً لنحقق الأداء الذى يليق بهذا البلد الذى يمثل القوة الأساسية الحقيقية للأمة العربية الإسلامية على مر التاريخ وفى المستقبل بعون الله ورضاه . وأن نسعى إلى بناء رؤوس كبارى مع الكثيرين من أصحاب العقول المنصفة فى العالم أجمع .

وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أجزاء .، نقدم فى الجزء الأول : الخرائط الذهنية لسيناريوهات الإسلام والغرب (الصراعية والتعاونية) السائدة فيما قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها من منظور لغويات التفاوض مع تقديم قراءة فى عقل أزمة «الحرب الجديدة الممتدة» حيث نقدم تحليلاً لتفاعلات الأزمة الممتدة .

ونقدم فى الجزء الثانى عرضا تفصيليا لمساحات التفاوض المهجورة داخليا وعلى الساحة الدولية وتفعيل الطاقات التى ينبغى أن تمكننا من التعامل الإيجابى مع هذه المساحات اشاغرة ومن خلال تدشين مشروع عربى لإدارة سيناريوهات المستقبل واستباق ما قد يتوقع من النوازل / الأزمات بأسلوب ديناميكى حديث ومختلف عما نتبناه فى مراكز استشراف المستقبل التحليلية والتفصيلية فى الوطن العربى وتحديد وما يتعلق بذلك من تفاصيل وأسئلة وإجابات نحاول تقديمها .

أمـا الجزء الثالث ، فنقدم من خلاله عناصر المشروع العربى لإستشراف المستقبل وربـطه برؤية تكاملية أخرى مقترحة بين فقه النوازل الدولية وعلم التفاوض وإدارة الأزمات واستباقها ... وتقدم نموذج معاصر ينطلق من ثقافتنا وهويتنا مع الانفتاح مـع الآخريـن فـى عالمنا المعاصـر والسـعى إلـى تدشين سـيناريو معيـارى (Normative scenario) قابل للتحقق بسواعد بناء هذه الأمة العربية .

د. حسن محمد وجيه

obeikandl.com